بسم الله الرحمن الرحيم

ليلة العاصفة في بيت الفلاسفة:

هدم الشك وبناء اليقين

المستقوي بالله

1440 هجري

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد عباد الله،

كيف نبني إيماننا ومسيرتنا على اليقين؟

وكيف ننسف نظريات المشككين؟

يتميز الإسلام بأنه الدين المرتضى عند الله، وبأنه الحق المطلق الذي لا شك فيه، ومن شكك في الدين بالقول أو العمل أو ارتاب قلبه فلا يكون مسلما ولا يكون مؤمنا. قال الله تعالى: " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ".

وكم من الناس، يخطئون الحساب، عندما يتصورون بأن تدينهم المبني على أساس الافتراض يمكن أن يكون صحيحا، فيقولون إن كان الإسلام حقا فزنا بالجنة، و إن لم يكن صحيحا ذهبنا في التراب و لا ندخل إلى النار، و لا يدري هذا القائل أو المعتقد أنه باعتقاده هذا يخسر الدنيا و الآخرة، و أن الله لا يقبل الإيمان من الذي يشك في أصل الدين.

قال عز وجل: "وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا".

فاحذر أيها المسلم أن يخدعك الشيطان، بتدين المتشكك، وأسس بنيان الدين عندك على أساس متين، فإن المسلم لا يكون مسلما حتى يكون موقنا بآيات الله ووعده، ولا أحد غيرك أيها المسلم يحصل عنده اليقين فيما يؤمن به وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

وبعد أن نبين بطلان نظرية المشككين، ننطلق في بناء الحق اليقين بالمرور على بعض الأمور الهامة التي تجعل المؤمن قوي الإيمان وصلب العقيدة وشديد الثبات، وذلك من خلال هاته المراحل :

١ .نسف نظرية الشك وإثبات الحقيقة المطلقة

٢ .إثبات أن الكون له خالق

٣ .إثبات أن الخالق هو الله

٤ .إثبات أن قول الله ووعده حق

٥ .وبيان أسباب الثبات والابتعاد عن الشك

إخواني، لا بد من هاته الكلمات أن تترسخ في أذهانكم، وتجري على ألسنتكم، ويظهر أثرها في أعمالكم وجميع أحوالكم، وأن تكون زادا تحتجون به على من خالف طريق الحق، ممن توجهون إليهم دعوتكم.

إنكم تقرأون قول الله عز وجل " وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ "

فهل علمتم آفة أكثر الناس؟ إن آفتهم هي اتباع الظن!!!

بل إن اتباع الظن، صار أصلا من الأصول المقررة في مناهجهم الدراسية، وفي نظم تدبير الدول والحكومات والأحزاب والسياسات.

ألا ترون بأن الديمقراطية التي تتبناها دول العالم، وتتغنى بها الحكومات والأحزاب والجماعات، مبنية على أساس الظن؟ فكيف ذلك؟

الديمقراطية، تقول بأن الشعب يحكم نفسه!! بما يختار من قوانين وتشريعات. فهل كل الشعوب سيختارون نفس القوانين، طبعا لا وهذا ما نشاهده، فكل دولة لها دستورها وقوانينها. والسؤال الذي يطرح نفسه.. هل هاته القوانين كلها عادلة؟ أم أن العدل واحد لا يتعدد؟

فإن كان العدل واحدا، فأي هاته القوانين هو العدل؟ وإن كان أحد هاته القوانين عادلة، أليس هذا يعني بأن القوانين الأخرى كلها ظالمة؟؟؟

إذن، ما هو العدل في مفهوم الديمقراطية؟ هل له حقيقة ثابتة مستقرة؟ أم أنه متروك لتقدير الغوغاء، وتصرف العملاء؟؟؟ الحقيقة أيها الإخوة، أن الديمقراطية تتبنى النظرية الفلسفية القديمة وهي نظرية الشك في كل شيء، وأنه لا حقيقة مطلقة البتة! بما في ذلك العدالة! لذلك هي تترك المجال مفتوحا لاجتهادات البشر من أجل تطوير مفهوم العدالة حسب المقياس .

فمن الجانب النظري، جعلت النواب البرلمانيين هم المخولين باختلاق وتبني القوانين وتعديلها بالنيابة عن الشعب، ومن الجانب الفعلي، تجد بأن هاته البرلمانات ما هي إلا مسارح جدلية وأن القوانين المؤثرة حقا إنما تصاغ في أروقة الأمم المتحدة، بوصاية الحكومة العالمية الصهيونية، ثم تمرر أمام أعين الرؤساء والملوك، على أنها إصلاحات وتوصيات وهم يعلمون أنها عين الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

وما هذه إلا لفتة سريعة إلى ما عليه واقع الحال، لتعلموا ينصركم الله ويسدد خطاكم، بأن كل فساد موجود في العالم إنما يكون بإتباع الظن. ولقد من الله علينا بتلكم الحقيقة الدامغة والحجة البالغة التي تسقط بنيانهم وتبين هذيانهم .

قال الله تعالى :

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

إنتبهوا رحمكم الله، فهذا الأمر مما لا يجب أن يُغفل عنه طرفة عين! لأنكم حين دعوتكم، ستجدون حتما من يلقي بهاته الشبهة التي أضلت كثيرا من الناس، الذين لم يكونوا محصنين بحصن العلم والعمل والجماعة، نسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين. آمين .

إنهم يقولون: كل شيء قابل للخطأ والصواب، أو كل شيء قابل للشك، أو كل شيء نسبي وليس هناك حقيقة مطلقة.. وهذه الأقوال كلها تحوم في نفس الفلك، وقد درستها أجيال بعد أجيال في دروس الفلسفة خلال الثانوية وأشربها القوم في قلوبهم، ولا زالوا إلى اليوم يدرسونها.

فنسألهم: قولكم " ليس هناك حقيقة مطلقة " هل هو حقيقة مطلقة أو ليس حقيقة مطلقة؟ فإن كان حقيقة مطلقة، فهذا يعني أن الحقيقة المطلقة موجودة، بما ينافي قولكم " ليس هناك حقيقة مطلقة "، وإن قلتم ليس حقيقة مطلقة، فلا حجة فيه ولا ينفي أن تكون هناك حقيقة مطلقة. فيعلم بهذا أن قولكم " ليس هناك حقيقة مطلقة " باطل من أصله، ويبطل نفسه بنفسه.

وبنفس الطريقة يرد على تلكم الشبهة البائسة في أي صيغة تمت صياغتها، فإن قال كل شيء نسبي، قلنا هل كلامك نسبي؟ فإن كان نسبي فإنه يفسح المجال لأن يكون ليس كل شيء نسبي، وإن قال كلامي ليس نسبي، فهذا خلاف قوله بأن كل شيء نسبي .

وأيضا إن قال ان كل شيء قابل للشك أو للخطأ والصواب، فنقول هل كلامك قابل للشك وللخطأ والصواب؟ فإن قال نعم، فكلامه قابل

للخطأ، وما كان قابلا للخطأ لا يعتبر دليلا، فالدليل لا يقبل الشك أو الخطأ، وإن قال كلامي لا يحتمل الخطأ، فهذا ينقض ما قرره أولا بأن كل شيء قابل للخطأ والصواب.

بهذا يتبين بطلان قولهم إن كل شيء قابل للخطأ والصواب.. بالإضافة إلى أن العبارة نفسها لا تصح، فإن كنت تقول بأن كل شيء قابل للخطأ والصواب، فقد أثبت ان هناك خطأ وصوابا، يعني أن الخطأ موجود، والصواب موجود!!؟ فهل المقصود بالخطأ والصواب في هذه العبارة خطأ حقيقي وصواب حقيقي أم المقصود خطأ يحتمل الصواب، وصواب يحتمل الخطأ؟ والخطأ والصواب المحتملان هل هما خطأ وصواب نسبيان أم مطلقان؟ وإن كان الخطأ والصواب المحتملان نسبيان فهذا يجرنا للقول بأن كل شيء يحتمل الخطأ الذي يحتمل الصواب الذي يحتمل الخطأ الذي يحتمل الصواب الذي يحتمل الخطأ ... ويحتمل الصواب الذي يحتمل الخطأ الذي يحتمل الصواب الذي يحتمل الخطأ الذي يحتمل الصواب ... إلى ما لا نهاية، فالعبارة باطلة من الأصل، لأن ما يحتمل الخطأ والصواب لا يسمى خطأ ولا صوابا، أليس كذلك؟ فإن قلت انه يحتمل الخطأ فقد أقررت أن هناك ما هو خطأ وليس صواب وان قلت يحتمل الصواب فقد اقررت ان

هناك ما هو صواب وليس خطأ، وهذا فيه إقرار بوجود الخطأ والصواب. وبهذا يتبين بطلان هاته النظرية الكفرية المشؤومة من أساسها .

أرجو أن تكون اتضحت عندكم هاته القاعدة، لنقرر بعد هذا أنه عكس ما يزعمون، فإن الحقيقة المطلقة موجودة وهي مبنية على الأدلة الراسخة التي لا يتطرق إليها الشك ولا الخطأ ولا النسبية.

إن الناظر لهذا الكون الحسن الخلقة، ليعلم علم اليقين أن له خالقا عليما حكيما سميعا بصيرا مصورا جميلا قديرا قويا كبيرا حيا قيوما رحيما، وذلك متجل في خلقه. أليس إبداع الرسام يتجلى في رسمه، وعبقرية المهندس تتجلى في مشاريعه وتصميماته، وكفاءة المصنع تعرف بمصنوعاته؟ وهل من الضرورة أن ترى صانع سيارة المرسيدس أو مصمم طائرة بوينغ، لتعلم أن لها صانع؟ وهل يعقل أن يقول أحدهم أنا لم أر صانع الطائرة إذن الطائرة صنعت لوحدها؟؟ فاعلم أن خلق السماوات والأرض وما فيها من آدميين وأشجار وأنهار وحيوانات وطيور أعظم بمليون مرة من صنع الطائرة، التي هي نفسها من خلق الخالق بأيدي مخلوقاته. فمن هو هذا الخالق العظيم، وبم يعرفه الناس، ويعرفون أنه صادق في كلامه ووعده؟

إن الله هو خالق الكون بكواكبه ونجومه ومجراته وخالق الأرض بأشجارها وجبالها وبحارها وخالق الإنسان بسمعه وبصره وعقله وبدنه، وقد أرسل الرسل ليهدوا الناس إلى صراطه المستقيم وأرسل معهم البينات، ونزل على خاتم الأنبياء والمرسلين القرآن الكريم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور .

وقد أخبرنا سبحانه بأن الجن والإنس لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وجعل القرآن معجزة على مر العصور، لا تترك مجالا للشك أو الريب في صدق الرسالة المحمدية، إذ قال سبحانه " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ". وها نحن في عهد التكنلوجيا والأبحاث المجهرية و ريادة الفضاء و علم الذرة، والأقمار الصناعية وغيرها من الاكتشافات التي من الله بها على البشرية، فحق لنا أن نسألهم، ما بكم تنفقون القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة لتصدوا عن الإسلام ، في حربكم العمياء على كل من رفع لافتة لا إله إلا الله ، بينما عجز أطباءكم و خبراءكم و الفلكيون و المهندسون، وهم معدون بأحدث الحواسيب والبرمجيات، على أن يأتوا بكتاب، مماثل للذي يزعمون أنه من صنع رجل أمي ، ليس

معه حاسوب و لا غوغل ولا قضى السنين الطوال على كراسي الجامعات يدرس الطب و الهندسة و الفلك و الفيزياء، ما درسها هو و لا أصحابه الذين جاهدوا في سبيل دعوته و بذلوا لها الغالي و النفيس.

ما هو الأيسر؟ صنع الطائرات المسيرة عن بعد و الصواريخ المتناهية الدقة و البارجات و الغواصات و تحريك الجيوش على الأرض وتزويدهم بالعدة و المؤونة والتضحية بالخبراء العسكريين و الآليات و الوقت و الجهد ، أم الأيسر هو صنع كتاب واحد يتحدى إعجاز القرآن، و يبرهن أصحابه لجماعة المسلمين و للعالم أن القرآن ليس معجزة و أن البشر بإمكانهم صنع كتاب، و لما لا عدة كتب مماثلة للكتاب الذي يؤمن به المسلمون و يتبعونه و يفتدونه بأموالهم و أنفسهم. قال الله سبحانه " فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ."

ولن تفعلوا!!! ياله من وعد صادق وقول حق وخبر يقين لا ريب فيه ولا شك ولا تبديل، لا مبدل لكلمات الله، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز.

وبعد بيان عجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثل القرآن الذي لا يمكن أن يأتي إلا من عند الخالق، فتعالوا ننظر الآن هل كل ما أخبر به الخالق صحيح وهل هناك احتمال أن يكون كلامه هزلا وليس فصلا.

حق على من عرف القاعدة الأولى، وهي أن القرآن لا يمكن أن يكون من صنع البشر، بل هو تنزيل من عند الخالق سبحانه، أن يستقر في قلبه التصديق بأن قول الله عز وجل " و لن تفعلوا " فصل وليس بالهزل، فهذا ما أثبتته التجربة و الواقع، بالإضافة إلى ما أثبتته الاكتشافات الحديثة من صدق القرآن في كل ما جاء به من الحقائق العلمية ، و على سبيل المثال لا الحصر، تلك المتعلقة بخلق الجنين، وضيق الصدر للصاعد في السماء، والبرزخ الفاصل بين البحرين، وتحطم النملة، وبناء أنثى العنكبوت للبيت، وتكوير الليل على النهار و النهار على الليل، ومرور الجبال مر السحاب، وإمكانية التواصل عن بعد. فهذه الحقائق وغيرها تثبت بلا شك مصداقية القرآن، وأن ما قاله الله تعالى فهو الحق الذي لا ريب فيه.

ولكن، هل تحقيق التصديق بما جاء من عند الله واستمراره يتم بمجرد معرفة الحقائق معرفة نظرية، أو يحتاج إلى العمل بما أمر الله به؟ إن مع عرف طبيعة هذا الدين، ليجزم بأن التصديق لما جاء من عند الله

إنما يكون باعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الأركان. وذلك أن اعتقاد القلب يصح بالتوحيد ويزيد بالطاعة كما قال الله تعالى " وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا " وفي الحديث " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " وينتفي الإيمان من القلب بالكفر والشرك وينتقص بالمعاصي، قال تعالى " لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ " وقال رسوله " إن العبد إذا أذنب نكث في قلبه نكتة سوداء."

ونعطي بعض الأمثلة اليسيرة على جريان هاته القاعدة الشرعية والسنة الماضية، بحيث أن من عمل الصالحات يزداد تصديقا، وأن من ترك العمل فإنما يورثه ذلك الشك والريبة .

قال الله تعالى " بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " هنا نجد الأمر بالتبليغ، والوعد بالعصمة من الناس، فمن هو الأكثر إيمانا وتصديقا؟ الذي يبلغ ما أنزل الله كما أمر الله، ثم يتحقق له وعد الله بالعصمة من الناس، أم الذي لا يبلغ ولا يحصل على الوعد؟

فهذا ينطبق على وعود الله جميعا، قال تعالى " وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم " وقد ظفر المسلمون بالكفار في غزوة بدر مع قلتهم

وعدم استعدادهم وكثرة عدوهم، وقال سبحانه " لتدخلن المسجد الحرام آمنين " فدخلوه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" وقد أنفقت .

فمن هم الأكمل إيمانا وتصديقا؟ الذين قاتلو في بدر فأظفرهم الله بذات الشوكة من الطائفتين، وعلموا صدق وعده سبحانه، أم الذين قالوا لموسى في مثل هذا الموقف: اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون؟؟ هل الأشد تصديقا هم الذي جاهدوا مع رسول الله حتى دخلوا المسجد الحرام آمنين كما وعدهم الله، أم الذين تخلفوا عنه ورغبوا بأنفسهم عن نفسه؟؟ هل هم الذين فتحوا كسرى وقيصر كما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم الذين ارتدوا على أدبارهم بعد وفاته وماتوا وهم كافرون!!؟؟؟

أيها الناس،

لا يعرف حقيقة الإيمان بالله إلا من عرف هاته القاعدة الشرعية حق المعرفة، فإن الدين كله يشتمل على قاعدة الأمر و الوعد، ففي

الحديث (من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه دخل الجنة) ، و فيه (حق العبيد على الله أن لا يعذب من لا يشرك بالله شيئا) و (من أرضى الله و أسخط الناس رضي الله عنه و أرضى عنه الناس و من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس) و (من ترك شيئا لله أبدله الله خيرا منه) و في القرآن الكريم (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴿) (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما)(إن تنصروا الله ينصركم) (ولينصرن الله من ينصره) (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) فالله تعالى أمرنا بأوامر، و رتب على فعلها وعودا فمن فعل المأمور به، حصل له الموعود، و ازداد إيمانا إلى إيمانه و يقينا بآيات الله، وتصديقا بوعود الدنيا و الآخرة. ومن تركها حصل عنده الريب والتردد فهم في ريبهم يترددون وفي الحديث (الإثم ما حاك في الصدر) أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

اللهم إنا نسألك اليقين والمعافاة، ونعوذ بك من الزيغ والضلال

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ